

شرم

القواعد الأربع

لشيخ الإسلام الإمام المجدد
محمد بن عبد الوهاب المشرفي التميمي
- رحمه الله تعالى -
١١١٥هـ - ١٢٠٦هـ

لفضيلة الشيخ

صالح بن محمد اللحيان
رئيس مجلس القضاء الأعلى وعضو هيئة كبار العلماء
- حفظه الله تعالى -

نسخة مصححة بتاريخ ١٦ شعبان ١٤٢٧هـ

[أشرطة مفرغة] 

أعد هذه المادة
سالم بن محمد الجزائري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَخَلِيلُهُ وَرَسُولُهُ، أنصح الخلق للخلق وأبرئهم في كل قول وعمل، صلى الله عليه وعلى آله وصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

نسأل الله بأسمائه وصفاته أن يجعلنا جميعا من خُصَّ أتباعه ومحبيه ومحبي صحابته، وأن ينفعنا ربنا جل وعلا بذلك في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، والحمد لله رب العالمين.

[المتن]

قال الإمام المجدد رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

أسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم أن يتولَّأكَ في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركاً أينما كنت، وأن يجعلك ممن إذا أُعطيَ شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإنَّ هؤلاء الثلاثة عنوان السَّعادة.

[الشرح]

هَذَا الدِّعَاءُ مِنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ الدَّعْوَةِ، وَالَّذِي بِفَضْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا ثُمَّ بِدَعْوَتِهِ تَأَسَّسَتْ أَوَّلُ دَوْلَةٍ عَقِيدَةٍ سَلْفِيَّةٍ فِي قَلْبِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَكَمَا أَشْرَتْ لَمْ يَكُنْ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ لَا فِي جَاهِلِيَّةِ الْعَرَبِ وَلَا بَعْدَ الْإِسْلَامِ كَانَ فِي نَجْدِ دَوْلَةٍ؛ بَلْ كَانَ الْأَمْرُ فِي وَقْتِ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ وَوَقْتِ الْخُلَفَاءِ الْأَمْرِ مُرْتَبِطًا بِالْمَدِينَةِ، وَفِي فِتْرَةٍ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ اسْتِقْرَارٌ وَاسِعٌ لَكِنَّا تَبِعْنَا لِلْخِلَافَةِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ كَانَ أَمْرُهَا مُرْبُوطًا بِالْبَصْرَةِ أَوْ بَوَالِي الْعِرَاقِ، فَكَانَ الْحِجَابُ نَفُوذَهُ عَلَى الْيَمَامَةِ وَمَا يَطُولُهَا.

لَكِن بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ النَّاصِعَةِ السَلْفِيَّةِ تَأَسَّسَتْ دَوْلَةٌ تَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ وَتَعَلِّمُ النَّاسَ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ، وَقَدْ كَانَ الشَّرْكُ مُنْتَشِرًا فِي الْجَزِيرَةِ؛ تَبْرَكَ بِالْقُبُورِ، وَطَلَبَ لِلْحَاجَاتِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ فِي كَثِيرٍ مِنْ

الأحوال. ثم أنقذ الله جل وعلا نجدًا وعمامة جزيرة العرب.

وانتقلت هذه الدعوة المباركة إلى خارج جزيرة العرب، بلغت الهند والشام والعراق، ووصلت إلى المغرب الأقصى، وصار لها أثرها، واستمر - والله الحمد - أثر هذه العقيدة على هذه الربوع، كلما انزاح السلطان وتقلّصت الدولة أو فُقدت، وإن كان فقدها في مدة بسيطة قصيرة؛ لكن كلما زال السلطان ولم يبق سلطان لدولة التوحيد بقي أثر العقيدة ساريا في حواضر قلب الجزيرة وبواديها.

وكانت آثار الشيخ الإمام المجدد رحمة الله عليه آثارا مباركة.

وفي هذه المقدمة في هذه القواعد الأربع يسأل ربه لطالب العلم أن يكون من الذين إذا أعطوا شكروا، والشكر على النعم من أسباب ثباتها ونموها، وما يضاد ذلك هو كفران النعم وهو سبب زوالها، والله يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)﴾ [إبراهيم: ٧]، يقول: الشكر على النعم والصبر عند البلوى والاستغفار من الذنب، من وفق لاصطحاب هذه المسائل الثلاث؛ إذا الله أعطاه فضلا من صحة بدن، أو انكشاف بليّة، أو حصول رزق، أو ذرية أو زواج، أو أي شيء من المحبوبات المباحة، يعلم أن ذلك من فضل الله وعطائه وجوده فيبادر إلى الشكر؛ إلى حمد الله الذي أنعم، فإنه لا يأتي بالحسنات إلا هو ولا يدفع السيئات سواه، يشكر ربه.

والشكر بالقول والفعل:

بالقول يحمد الله يشكره على ما أعطى.

وبالفعل: ^(١)

إن كان مالا يبذل منه، طلب نموه؛ لأنه ما نقص مال من صدقة.

وإن كان علما علّم الناس الخير اغتناما للأجر، وليصل إلى الناس ما فرح به من خير؛ لأنه لا يؤمن

الإنسان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه. ^(٢)

(١) لقوله جل وعلا: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

(٢) إشارة للحديث الذي رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم (١٣).

مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من حصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، حديث رقم (٤٥).

وإن كانت صحة في البدن استغلّ أوقات الفراغ فيما يجب الله جل وعلا ويرضاه؛ لئلا يكون مغبوناً من المغبونين؛ لأنه كما في الصحيح ((**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ**)).^(١)

فإذا حمد العبد ربه وشكره بورك له فيما أعطاه الله من مال أو صحة أو علم أو أهل أو ولد. إذا أذنب علم أنه مأخوذ بالذنب، وأن له رباً يأخذ بالذنب فيفرع إليه ويستغفره، وكما جاء في الحديث يقول الله جل وعلا: ((**عبدى أذنب ذنباً وعلم أن له ربا يأخذ بالذنب فاستغفره فغفر له**)).^(٢)

فالاستغفار من أعظم مكاسب العبد، والإنسان ما يجلس مجلساً ثم يختمه بالاستغفار، إلا كان ذلك الاستغفار، إن كان المجلس مجلس تخليط كان ذلك الاستغفار كفارة لذنبه، وإن كان المجلس مجلس خير كان الاستغفار كالحاتم يختم عليه حيث لا خطر عليه، إذا أذنب استغفر.

والنبي المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان يحسب له الصحابة في المجلس الواحد زهاء مائة مرة يستغفر الله ويتوب إليه.^(٣)

إذ ابتلي الإنسان؛ نزلت به ضائقة أو مصيبة أو فاجعة، علم أن هذا بقضاء الله وقدره، وعلم أنه لا يكشف البلوى إلا الله، وعلم أنه ملك لله، يتضرع بالصرخ ويأتي بالتلطف الذي يهين الله به الخير يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون. نحن خلق من خلقه وملك من ملكه، والمالك الذي ملكه مطلق لا يُسأل عن تصرفه في ملكه، له تدبير شؤون هذا الملك.

ملك البشر ملك محدود، الناس لا يملكون، ملكهم محدود، كما يملك الرقيق؛ الرقيق يملك طعامه

(١) البخاري: كتاب الرقاق، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، حديث رقم (٦٤١٢).

(٢) البخاري: كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾...، حديث رقم (٧٥٠٧).

مسلم: كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، حديث رقم (٢٧٥٨).

(٣) سنن الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، حديث رقم (٣٤٣٤). وقال الترمذي: هذا حديث

حسن صحيح غريب.

سنن ابن ماجه: كتاب الأدب، باب الاستغفار، حديث رقم (٣٨١٤).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

ليأكله؛ لكنه محدود الملكية، فالخلق كلهم عبيد الله، وأما ملك الله جل وعلا فإنه لا يسأل عما يفعل والعباد يسألون إلا أنه جل وعلا الحكيم، الذي تديره وتصريف شؤون خلقه ليست اعتباراً، وإنما هي عن حكمة نافذة، وعلم محيط بكل شيء.

فيقول شيخ الإسلام: **(إِذَا أُعْطِيَ شُكْرًا، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبْرًا، وَإِذَا أُذْنِبَ اسْتَغْفَرَ)** هذا يجوز السعادة الكاملة.

فنسأل الله الكريم أن نكون جميعاً ممن يعافهم الله جل وعلا من البلوى، ويعطيهم ويوفّقهم للشكر على ما يعطيهم، وأن يوفّقهم من لاكثر من الاستغفار ليفوزوا بما رتبّه الله للمستغفرين.

[المتن]

اعلم أرشدك الله لطاعته: أن الحنيفة ملة إبراهيم: أن تعبد الله مخلصاً له الدين، كما قال تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾** [الذاريات: ٥٦].

[الشرح]

الحنيفية ملة إبراهيم هي التي لا انحراف فيها؛ حنيفة سمحة، وهي أن يعبد الناس ربهم جل وعلا غير مشركين به.

فالحنيفية أن يعبد الله وحده وأن لا يشرك به، لأن من أشرك مع الله غيره في العمل يتركه الله جل وعلا وشركه، كما في الحديث ((يقول الله تعالى: **أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من أشرك معي غيري تركته وشركه**))،^(١) ثم إن الشرك له خطر عظيم، الشرك لا يغفر إلا إن تاب العبد إلى ربه قبل موته، إن مات على الشرك الأكبر فلا أمل بالمغفرة، فالخلود في نار جهنم، وكل ذنب عسى أن يغفر إلا الشرك **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾**،^(٢) **﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢)﴾** [المائدة: ٧٢]، وما بُعث رسول في جميع عصور بني آدم إلا وأمر الناس بعبادة الله ونهاهم عن الشرك ابتداءً من نوح عليه السلام؛ لأن

(١) مسلم: كتاب الزهد والرفائق، باب من أشرك في عمله غير الله، حديث رقم (٢٩٨٥).

(٢) سورة: النساء (٤٨)، (١١٦).

الشرك إنما وقع بعد آدم بما شاء الله من المدة، فلما أشرك الناس أرسل الله جل وعلا نوحا فدعا الناس إلى دين الله وتكررت قصة دعاء نوح لقومه حتى يئس منهم، ودعا ربه أن لا يدع على الأرض من الكافرين ديارا. (١)

[المتن]

فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم: أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلى مع الطهارة.

[الشرح]

العبادة بما فيها الصلاة، وبما فيها سائر القربات التي يتقرب بها - طاعة للأمر ورجاء المثوبة والسّلامة من العذاب - فلا تسمى عبادة معتبرة، وإلا فهناك عبادات؛ يعبد أهل الأصنام أصنامهم، من يعبد الجن يعبدهم، الملائكة والنجوم، لكن لا تسمى عبادة معتبرة إلا إذا كانت عبادة توحيد؛ أي خصّ الله بها وحده لا شريك له، فلا يصرف منها شيء لغيره جل وعلا؛ لأنه المعبود بحق، هو اللائق أن يعبد؛ لأنه هو الخلاق، هو الذي خلق العباد، وخلق ما يحتاجون إليه من شؤونهم بالليل والنهار، وحفظهم من كل شيء إلا ما قدره عليهم سبحانه وتعالى، فلا تكون العبادة عبادة معتبرة، ويقصد شيخ الإسلام العبادة النافعة، وإلا فهو يعلم - رحمة الله عليه - أن الناس منهم من يعبد الجن، منهم من يعبد الأشجار، منهم من يعبد العيون الجارية بالمياه، ومنهم من يصنع صنمه بيده ثم يعبده، وقد اعترف العرب بأنهم يعبدون فقالوا عن أصنامهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، هم معترفون بأنهم يعبدونها؛ لكنهم يقولون: نعبدهم ليقربونا إلى الله.

(١) قال تعالى في سورة نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩)﴾ ثم قال: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢)﴾ وفي آخر السورة قال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧)﴾.

[المتن]

فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحديث إذا دخل في الطهارة.

[الشرح]

مثل شيخ الإسلام بما بين أنه لا يعتبر إلا إذا كان صرفاً لوجه الله في الصلاة، فإن كل مصلٍ يعلم أن الصلاة لا تصح إذا أحدث الإنسان إلا بطهارة أو تيمم، ولو صلى بغير ذلك لا تسمى صلاة وإنما تسمى حركات وعبث، فكذلك اسم العبادة المعتبر لا يكون إلا لمن عبد الله وحده؛ أي وحده فلم يشرك معه أحد؛ بل خصّه بالعبادة ولا يلتفت في أي عبادة لغيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

[المتن]

فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفت أن أهم ما عليك: معرفة ذلك، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله الذي قال الله [تعالى] فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦].

[الشرح]

الأنبياء والرسل إنما بعثوا ليخرجوا الناس بإذن الله من الظلمات إلى النور، الظلمات الخالكة التي لا يُستبان معها الطريق هي الشرك بالله؛ لأن من أشرك بالله ومات على ذلك فلا عمل ينفعه.

الإنسان مهما عمل من الأعمال المفيدة للبشرية التي مثلها إذا كانت من مؤمن نفعته نفعاً عظيماً، إذا لم تكن من موحد لله لا تنفعه، لو استنبطت المياه في الصدقات، وقسمت الأموال على الفقراء، وحُشر الأطباء لعلاج المرضى ولكن فاعل ذلك لم يخلص العبادة لله جل وعلا ما نفعه ذلك الشيء، قال الله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ (٢٣) [الفرقان: ٢٣]، ﴿لَكِنَّ أَشْرَكَتَ لِيَحْبُطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، مهما عمل الإنسان إذا أشرك بحبط هذا العمل، لكن إن تاب وأتاب وأخلص العمل لله جل وعلا فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قادر أن يعيد له ما فقد بسبب ذلك الشرك، والإنسان محتاج إلى أن يلجأ إلى الله جل وعلا في كل أحواله، ليعصمه ويثبته فإن الإنسان لا يبقى

على الحق لأصالة في رأيه وثبات عقله، فإن هذا لا ينفع إلا بتوفيق الله جل وعلا؛ لكن الذي يقول:
أصالة الرأي صانتني عن الخطلِ وحلية الفضل زانتني لدى العطلِ^(١)

لا تتحقق هذه إلا بتوفيق الله، فإن كثيرا من العقلاء نافذي البصيرة إذا لم يشملهم الله بلطفه ضاعوا، وكثيرا من الزنادقة إنما جرهم إلى زندقتهم تسليطهم عقولهم على الحكم على الأشياء ظواهرها وبواطنها.



[المتن]

وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.

القاعدة الأولى: أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تعالى هو الخالق المدبِّر، وأنَّ ذلك لم يُدخِلْهم في الإسلام، والدليل: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١)﴾ [يونس: ٣١].

[الشرح]

هذه القاعدة الأولى، العرب الذين بُعث فيهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا مقرِّين بأن الخالق هو الله جل وعلا، وأنه هو الذي يخرج الحي من الميت، ويقول الله جل وعلا: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]، لو سأهم من أوجد هذا البناء العزيز المحكم؟ ومن أوجد هذه الأرض التي يتقلب الناس فيها ويسيرون ويزرعون وينون ويرعون مواشيهم ويأكلون من خيراتها؟ لقالوا: الله.

لم يقولوا في يوم من الأيام: إن الذي أنبت الزرع، وأدرّ الضرع، وأوجد هذه الكائنات أنها اللات والعزى أو مناة الأخرى!! وإلا فهم مقرُّون ويقولون: عن عبادتهم إنما فعلوها لتلك المعبودات لتقرَّبهم إلى الله زلفى، يريدون بذلك أن يتحقق لهم القرب من الله جل وعلا، وهي آثار ذلك القرب.

(١) وهو لمؤيد الدين الأصبهاني الطغرائي (٤٥٥-٥١٣هـ).

مع إقرارهم هذا لم ينتفعوا، لا بد أن يعبدوا موجد هذه الكائنات وأن يخصّوه بالعبادة ويخلصوا ﴿مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢)﴾ [الزمر: ٢٠]، وإذا لم يفعلوا فالله لا حاجة له بهم وبعبادتهم.

البشر محتاجون للمشاركة؛ لأن مصالحهم لا تتحقق في كثير من الأحوال إلا بإعانة بعضهم البعض؛ لأنهم ليست لهم القدرة التامة، والعلم النافذ على كل شيء، وأما الخلاق العليم فهو مالك الملك وخالق الكون ومدبر شؤونه لا يحتاج لأحد، وإنما خلق العباد ليعبدوه، خلق الجن والإنس لعبادته، فلا تضره معصيتهم ولا تنفعه عبادتهم؛ ولكنه أراد ذلك سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، فإذا أراد العباد أن ينفعوا أنفسهم فليخلصوا له العبادة، لا يشركوا به شيئاً، فليحذروا من أن تكون عباداتهم سبب دخولهم النار.



[المتن]

القاعدة الثانية: أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجّهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة، فـدليل القربة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)﴾ [الزمر: ٣].

[الشرح]

أي أن الكفار لم ينكروا أنهم يعبدون آلهتهم؛ ولكنهم يعلنون أنهم يعلمون أنها لا تخلق ولا ترزق، وإنما يرون أن لها منزلة عند الله، فيتقربون إليها لتقربهم إلى الله، والله جل وعلا لا أحد يقربنا إليه، ولهذا يقول جل وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، يقول المفسرون: لم يقل: فقل لهم: ﴿إِنِّي قَرِيبٌ﴾؛ بل وجه الخطاب والجواب لهم ﴿فَأِنِّي قَرِيبٌ﴾ حتى يعلم كل إنسان - كل عبد - أنه لا واسطة بينه وبين الله في العبادة والطلب، ما عليه إلا أن يسأل ربه دون أن يجعل وسيطا لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا.

[المتن]

ودليل الشفاعة قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

[الشرح]

هذا المعنى مثل معنى ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٠٣]، والشفاعة التي شغلت الناس شغلا واسعا، وأعطيت ما لا يدخل تحت نص شرعي ضل بها خلق كثير، وصار الشرك الأكبر يُلبس ثوب الشفاعة.

والله جل وعلا يبين أنه لا أحد يشفع عنده إلا إذا رضي فعل المشفوع له ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ويقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]. والذين لا يرضى عنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين، ثم لا أحد يتجرأ أن يشفع عند الله إلا إذا أذن الله.

الشأن في الشفعاء في الدنيا أن الشفيع يشفع لمكانته عند المشفوع عنده، والمشفوع عنده يستجيب لأنه محتاج أن يرضى عنه الشافع، وقد يكون محتاج لأن يساعده الشافع على أمور يعينه عليها. أما المولى جل وعلا فإنه الغني القوي المتين، إنما يأذن للشافع أن يشفع إكراما للشافع بشرطين:

- أن يكون المشفوع له مرضي القول والعمل.
- ثم إن الشافع لا يجروا أن يشفع إلا بعد الإذن.

فإن أكرم البشر عند الله جل وعلا نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي الشفاعة العظمى التي ينتفع بها أهل المحشر أجمعون لا يبدأ بالشفاعة، وقصة الشفاعة الكبرى معروفة أن الناس إذا اشتد بهم الكرب وعظم الخطب وضائق عليهم الأحوال من كل جهة، وصاروا في كرب لا يستطيعون تحمله، لجؤوا إلى أبي البشر، وإلى نوح، وإلى الخليل، وإلى موسى وعيسى، ويتدافع هؤلاء الشفاعة، وكل يعتذر بعذر ويذكر مسوغ الاعتذار، إلا عيسى لا يذكر شيئا ولكن يقول: لست لها. حتى يأتوا إلى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا يبدأ بالشفاعة إنما يسجد لربه، سجود العبد المتذلل، فلا يبدأ الشفاعة حتى

يقال: ((يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع)) إلى آخر الحديث. (١)

فإن الله سبحانه وتعالى لا أحد يشفع عنده إلا إذا أذن، بخلاف البشر أن الشفاعة عند بعض الخلق تؤثر خوفاً من الشافع، أما فيما بين العباد وبين الله فلا شفاعة إلا لمن رضي الله عنه.

[المتن]

والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية وشفاعة مثبتة:

فالشفاعة المنفية ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والدليل: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

[الشرح]

الشفاعة هي انضمام رغبة إلى رغبة، فبدل أن تكون الرغبة فرداً صارت مشفوعة بالشافع؛ لكن الشفاعة المنفية هي التي لا يكون المشفوع له مرضي القول والعمل، ولا يكرم الشافع بالتقدم للشفاعة، وقول الله جل وعلا في هذه الآية ﴿لَا بَيْعٌ﴾ فبدأ بأقوى أحوال الاقتدار وهو البيع؛ الإنسان إذا ملك البيع والشراء ملك باقي أموره، تأتي الخلة وهي المحبة والحبيب البالغ في محبته غايتها ينضم إلى من يجب لتحقيق المطلب، والشفاعة هي الثالثة هذه الشفاعة التي جاءت عقب هذه الأشياء هي الشفاعة المنفية.

[المتن]

والشفاعة المثبتة هي: التي تُطلب من الله، والشافع مُكْرَمٌ بالشفاعة، والمشفوع له: من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن كما قال الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(١) البخاري: كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، برقم: (٧٥١٠).

مسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٣).

[الشرح]

هذه الشفاعة المرضية التي يأذن الله جل وعلا بها إكراما للشافع، فإن الله يكرم محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على رؤوس الخلائق بأن يستجيب له في تفريج كرب يوم الموقف، وإن لم يكن رضي عمل أولئك أجمعين لأنه فيهم من رضي عمله وفيهم من لم يرض عمله. ثم الشفاعة في العفو في الإخراج من النار، يأذن الله جل وعلا لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يشفع لمن شاء الله أن يأذن الله له بالشفاعة له من أهل التوحيد؛ لأن أهل الشرك الأكبر لا يأذن الله لمحمد ولا لغيره أن يشفع لهم، ولا تنفعهم شفاعة شافع. هاتان القاعدتان من هذه القواعد الأربع، نكتفي بقراءة هاتين؛ ولأنَّ القائمين على هذه الندوة ألحوا على الزيادة فستكون ليلة القدر إن شاء الله في ذلك، وننصرف الآن إلى الإجابة بما أستطيع الإجابة عليه من الأسئلة.



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَخَلِيلُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهَدْيِهِمْ، وَاتَّبَعَ سَبِيلَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَبَعْدُ: نسأل الله جل وعلا أن يثبتنا جميعا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وأن يصلح حالنا وذرياتنا ومعارفنا وإخواننا المسلمين، وأن يعزَّز ديننا، وينصر أمتنا، ويخزي أعداءنا، ويرينا في أعدائنا عجائب قدرته.

كما نسأله سبحانه أن يجمع كلمة المسلمين على الحق، ويوفقهم للاستعداد لملاقاة مشاكل الزمن وأعداء دين الله، إنه مجيب الدعاء ونستأنف ما كنا بشأنه.

[المتن]

القاعدة الثالثة: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظهر على أناسٍ متفرِّقين في عباداتهم منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد

الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يفرِّق بينهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

[الشرح]

محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه الله جل وعلا على حين فترة من الرسل، ((كانت الأنبياء في بني إسرائيل كلما هلك نبي بعث الله نبيا يعلم الناس))^(١) وكانت الأمور في نطاق ضيق، والله جل وعلا أراد أن يختم برسالة عامة شاملة ويرسل رسولا للناس كافة، فحصلت الفترة وحُرِّف ما عند الناس من الكتب، وبُدِّل، وعبثوا بأهم أستحفظوا ولم يتكفل الله جل وعلا بحفظ ما أنزل فبدلوا.

فاختار الله جل وعلا للرسالة الشاملة موطننا لم يتلوَّث بالحضارات ولم تجبه الفلسفات ومخترعات الكلام، وإنما اختار موزعا له صفاؤه، وعند أفضل بقعة على وجه الأرض، ومن خيار لغتهم هي اللاتقة لاستقبال الوحي الشامل الذي أنزل للجن والإنس معا، فأرسل الله محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وكانت في العرب ديانات كلها وثنية، وقلَّ أن يوجد أحد باقيا على الحنيفية السمحة، ديانة العرب في الجاهلية قبل أن تسيب السوائب وتنشر الأصنام ويُدعى الناس إلى عبادتها، كانت على ملة الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فلما فسدت الأحوال والعقائد بعث محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه العقيدة الصافية التي لا تعقيد فيها ولا آصار ولا أغلال، وإنما تنسجم مع الفطرة وتتجاوب مع مشاعر الجبلة التي جَبَلَ اللهُ جَلَّ جَلَّ اللهُ جَلَّ وَعَلا عليها خلقه، فكان هذا الدين.

كان العرب في الجاهلية لهم عبادات مختلفة، منهم من يصنع صنما ثم يعبده، كما جاء في قصة الرجل الذي لا أتذكر أهو من الأوس أم من الخزرج^(٢) كان له صنم وكان أقاربه دخلوا في الإسلام وبقي فصاروا يجتالون عليه فأخذوه ورموه في مزبلة، فأخذوه وغسله وطيبه ونصبه في موضعه، وجاءوا مرة

(١) البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم (٣٤٥٥).

مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، حديث رقم (١٨٤٢).

(٢) هو من بني سليم واسمه غاوي بن عبد العزى وحينما أسلم أبدل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسمه إلى راشد بن عبد ربه. أنظر البداية والنهاية لابن كثير.

أخرى وربطوه في ثعلب فيال الثعلب عليه، فلما نظر إليه وتذكر وتفكر ثم قال البيت المشهور:

أَرَبُّ يَيُولُ الثُّعْلُبَانُ بِرَأْسِهِ لَقَدْ هَانَ مَن بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ

ثم أسلم، فشهد أن لا إله إلا الله.

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث مكة ومن حولها، في الكعبة أصنام كثيرة ممكن ثلاثمائة وستون صنما، ولكن الصنم الأكبر لقريش هبل وهو الذي لما كان في غزوة أحد وحصل ما حصل من الهزيمة، نادى أبو سفيان أعل هبل، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ألا تجيبون له؟)) قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: ((قولوا: الله أعلى وأجل)) ثم قالوا: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي: ((قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم)).^(١)

وكان بعضهم ربما صنع إلهه بنفسه كما يروى أن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كانت له عبادة غير عبادة قريش زائدة، كانت أحوالهم أحوالا عجيبة فيما يختارون؛ ولكن لا غرابة إذا [انغلقت] البصيرة انسدت المسالك كما هي الحال في كثير من الديانات الشرقية التي لا أساس لها. فالعرب في الجاهلية كانوا يعبدون الشمس والقمر والجن.. وغير ذلك، فجاء الله جل وعلا بهذا الدين الحنيف.

كان العرب من أهون الأمم على الأمم المجاورة لهم، لا يحسب لهم كبير حساب، وتحتقرهم الفرس والروم، إلا أن الله جل وعلا هيا مقدمات قبل بعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحصل اليوم الذي بين بني شيبان والفرس، وكان أعظم دولة تقرب من جزيرة لعرب دولة فارس ودولة الروم.

العرب لا عبادة لهم تجمعهم، والعرب كما يقول علماء فلسفة التاريخ كابن خلدون: لا تجمعهم عقيدة ينضون تحتها ويقومون لأجلها، فلما كانوا في الجاهلية عقيدتهم العصبية للقبيلة كانت القبائل متناحرة، ولما جاء الله بهذه الملة الحنيفية وأشربت قلوبهم بها، وخالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، كما يقول هرقل لما سأل أبو سفيان: هل ارتد أحد من أتباع محمد سُخْطَةً لدينه؟ قال: لا. فلما أراد أن يرد عليه أي هرقل قال: وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب.^(٢)

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب...، حديث رقم (٣٠٣٨).

(٢) البخاري: كتاب بدء الوحي، باب (٦)، حديث رقم (٠٧).

هذه العبادات الفاسدة للشمس والقمر والأحجار والنجوم..، ويربطون كثيرا من أفعال الله جل وعلا بالنجوم كما في قصة صبيحة يوم الحديبية لما أصبحوا على مطر، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟)) قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ((قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ. فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ. وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ))^(١).

[المتن]

ودليل الشمس والقمر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فصلت: ٣٧].

[الشرح]

السجود للقمر وللشمس، وقد قص الله أيضا سجد أهل مأرب - قوم بلقيس - للشمس، وقصة سليمان لما تفقد الطير فقال الطير: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [النمل: ٢٣-٢٤]، كانوا يسجدون للشمس والله أعلم أن عبادات الشمس انتقلت إلى العرب من جيرانهم الفرس في الجاهلية قبل الإسلام؛ لأن الناس يتأثرون بجيرانهم عادة إذا لم يكن معهم ما يعصمهم.

كما أن عبادة الكواكب كانت أيضا مشتهرة في شمال العراق قبل الإسلام بزمن طويل.

ومعلوم أن العرب كانوا يختلطون بالأمم وينقلون منهم وينقلون إليهم، ومما نقلوا من الأمم عبادة الأوثان، وأخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن أول من سبب السوائب^(٢) وجلب عبادة الأصنام عمرو بن لحي الخزاعي لما رأى في الشام عبادات آلهة متنوعة سعى إلى ذلك ليبيته في العرب؛ ولأنهم لم

مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هرقل يدعو إلى الإسلام، حديث رقم (١٧٧٣).

(١) البخاري: كتاب الأذان، باب استقبال الإمام إذا سلم، حدي ثرقم (٨٤٦).

مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، حديث رقم (٧١).

(٢) البخاري: كتاب المناقب، باب قصة خزاعة، حديث رقم (٣٥٢١).

مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، حديث رقم (٢٨٥٦).

تكن لديهم علوم، والعرب أمة أمية لا كتاب معهم حتى يحفظون ما ورثوه عن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنما أشياء دون كتاب، فهم أميون وسماهم الله جل وعلا ﴿الْأُمِّيِّينَ﴾ [الجمعة: ٢]، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جاء موضع الشهر قال: ((نحن أمة أمية، لا نقرأ ولا نكتب الشهر هكذا وهكذا وهكذا)) مرة أشار بأصابع يديه العشرة ثلاث مرات، ومرة أشار بيديه العشرة وفي الثالثة ضم إصبعاً تسعة فصارت وتسعا وعشرين.^(١)

لاشك أن الأمية زال جملها وإن بقي أثرها، فالأدلة من القرآن الكريم ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فصلت: ٣٧]، هم ما هؤا عن ذلك إلا لأنهم كانوا يسجدون لها بقيت بقايا متوارثة في الجزيرة عند بعض البوادي في خطاب القمر، في بعض القبائل -هَذَا شَيْءٌ غَيْرٌ بَعِيدٍ- إذا خسف القمر ينادون نداء ليخرج القمر مما هو فيه، وربما طلبوا منه بعض المطالب، هي أشبه ما تكون بالعبث؛ لكنها بقايا من الأمور السابقة، كما بقي في عهد الصحابة ((أفْلَحَ وَأَبِيهِ))^(٢) وأمثال ذلك، لكنها لم تكن مقصودة.

[المتن]

ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠].

[الشرح]

ما سماهم الله عن ذلك إلا لأنهم يعبدونهم، بالنسبة للملائكة بقي عندهم من بعض المعابد، مثلاً مما بقي كما مدح النابغة الذبياني النعمان ملك العراق قال:

وَلَا أَرَى فَاعِلاً فِي النَّاسِ يُشَبِّهُهُ
إِلَّا سُلَيْمَانُ إِذْ قَالَ الْإِلَهُ لَهُ
وَشَيْئِ الْجِنِّ إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ
هَذِهِ أُمُورٌ بَاقِيَةٌ عِنْدَ الْعَرَبِ مِنْ جِيرَانِهِمْ.

(١) سنن أبي داود: كتاب الصيام، باب الشهر يكون تسعا وعشرين، حديث رقم (٢٣١٩).

سنن النسائي: كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على يحيى بن أبي كثير في خير أبي سلمة فيه، حديث رقم (٢١٤٠، ٢١٤١). قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، حديث رقم (١١).

ومن العبادات - حتى ولو يسجدوا لهم - أن يتبعوهم فيما يأمرهم به، الأنبياء لا يأمرهم إلا بالحق ولا ينهاهم إلا على الباطل، ولذلك النصراني قالوا: عيسى ابن الله وقالوا: عيسى إله ثالث ثلاثة، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، إلا أن اليهود أسلم من النصراني في تعدد الآلهة؛ لكنهم أشد عباد الله حبثا.

فنهى الله جل وعلا عن عبادة الملائكة والأنبياء دليل على حصول ذلك عند من بعث فيهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما اتخاذ الأحرار والرهبان فهو بالتحليل والتحريم كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعدي بن حاتم. (١)

[المتن]

ودليل الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

[الشرح]

معلوم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِثَ لِلنَّاسِ كَافَةً؛ بَعِثَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْعَجَمِ وَسَائِرِ النَّاسِ، الْعَرَبِ فِي جَزِيرَتِهِمْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ كَنَصْرَانِيَّةِ بَجْرَانِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ، وَفِيهِ نَصْرَانِيَّةٌ بَنِي تَغْلِبَ وَيُقَالُ: أَهْمُ يَتَعَبَدُونَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ إِلَّا حِينَ مَا يَرِيدُونَ؛ لَكِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَبْعُوثٌ إِلَى النَّاسِ كَافَةً، وَإِلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَكَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا مَا قَالَ: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فكان جوابه أنه لم يقل إلا ما أمره الله به، وأن الله يعلم ما في نفسه فضلا عما قد يقوله، وهو لا يعلم ما في نفس الله.

[المتن]

ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ

(١) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب (ومن سورة التوبة)، حديث رقم (٣٠٩٥)، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب وخطيب بن أعين ليس معروف في الحديث، قال الشيخ الألباني: حسن.

وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ... ﴿الآية [الإسراء: ٥٧].

[الشرح]

النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَنْ مِنْ كَانُوا قَبْلَنَا يَعْبُدُونَ الصَّالِحِينَ، وَجَاءَ ذَكَرُ وِدَا وَيَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا أَنْ هَؤُلَاءِ أَسْمَاءُ قَوْمِ صَالِحِينَ كَانُوا فِي قَوْمِ نُوحٍ، لَمَّا مَاتُوا صَوَّرَ أَوْلَادَكَ الصُّورَ لَهُمْ لِيَتَذَكَّرُوهُمْ ثُمَّ صَارُوا يَعْبُدُونَهُمْ.^(١)

والعرب انتشرت فيهم هذه الأسماء، فمن العرب من كان يسمى عبد يغوث^(٢) في الجاهلية كأحد شيوخ القبائل اليمنية الذي أُسر في حرب [كلاب] وقتل وهو يقول:

أَمْعَشَرَ تَيْمٍ قَدْ مَلَكَتُمْ فَأَسْجَحُوا فَإِنَّ أَحَاكُمَ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَوَائِيَا
أَيُّ أَنَا الْمَقْتُولِ لَيْسَ لِمِثْلِي كِفَاءَةٌ.

فكانوا يسمون عبد هبل، كما يسمون في قرى مكة عبد العزى وعبد اللات وعبد مناة من الأشجار والأحجار والجن.

[المتن]

ودليل الأحجار والأشجار قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ

الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩-٢٠].

[الشرح]

قيل هذه الأشياء الثلاثة مناة من .. واللات من الإله والعزى من العزيز، ومناة صخرة كانت تعبد في بني هذيل، واللات رجل كان يلت للناس السوق ثم عظموه لإحسانه فصار يعبد في الموضع الذي كان فيه، وأما العزى فشجرة بقرب مكة في طريق جدة وهي التي بعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالدا بن الوليد ليقطعها.

ثم في العصر الأخير الذي قام بالدعوة فيه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، كان الناس في وسط الجزيرة يتقربون إلى الأشجار وتلتجئ النساء إلى بعض فحول النخل تطلب منه تحقيق الحمل

(١) البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق﴾، حديث رقم (٤٩٢٠).

(٢) وهو عبد يغوث بن صلاء وقيل: ابن عبد الحارث الحارثي، شاعر جاهلي يمني من بني الحرث بن سعد.

وغير ذلك.

وقيل: -والله أعلم- إن دقيق [صنو] النخلة أنه يفيد في مساعدة الرجال على الإحصاب والإنجاب، والله أعلم.

[المتن]

وحدث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط... الحديث. (١)

[الشرح]

هذه الشجرة في الجاهلية يعلقون بها أسلحتهم للبركة ليتحقق لهم النصر في حربهم، يقول أبو واقد رضي الله عنه: لما مررنا بها ورأينا هذه الشجرة وما يُصنع حولها، ونحن حديثي عهد بالجاهلية؛ يعني ليسوا بعيدين عما كانوا عليه من عبادة الأصنام والتبرك بالأشجار، وهذه الشجرة تسمى ذات أنواط، قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: اجعل لنا ذات أنواط، فقال صلى الله عليه وسلم ((إِنهَا السِّنَنُ قَلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]))، فبنوا إسرائيل لما اجتازوا البحر بعد أن أمر الله موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه فانفلق البحر وصار اثني عشرة طريقاً وصار الماء كل فرق منه كالطود العظيم؛ كالجبل العالي لما نجوا ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨)﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩)﴾ [الأعراف: ١٣٨-١٣٩]، لما قال الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم هذه المقالة قال: ((إِنهَا السِّنَنُ))، والحديث الآخر ((لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة

(١) سنن الترمذي: الولاء والهبة، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، برقم: (٢١٨٠).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

حتى لو دخلوا جحر الضب لدخلتموه)^(١) أي أن ما حصل في الأمم السابقة من ضلالات سيحصل في أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد حصل شيء كثير من ذلك وقد يأتي شيء لم نسمع به ولم نره، ونسأل الله الهداية لعباده جميعاً.



[المتن]

القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين، لأن الأولين يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائم؛ في الرخاء والشدة.

[الشرح]

رحمة الله على الشيخ، ففي الأزمنة الأخيرة إذا شب حريق أو حدث حادث عظيم رفعوا أصواتهم لدعاء من يعتقدون أنه يكشف الضر، يدعون غير الله.

العرب في الجاهلية إذ مسّهم الضر ضل من يدعون -أي ضاع وتركوه- والتجأوا إلى الله، فإذا نجوا عادوا إلى آلهتهم.

والذين عناهم الشيخ رحمة الله عليه كانوا إذا حلت بهم المكاره ونزلت بهم الخطوب يفرعون إلى من يعظمونه من جنّ أو غيرهم، فقال هذه المقالة أن المشركين السابقين كانوا يلتجئون إلى الله عند الشدائد، وأما هؤلاء فإنهم عند الشدائد يلتجئون إلى من لا يدفع ضرّاً ولا يُبعد شرّاً، وجعل الله في هذه الدعوة البركة العظيمة المباركة.

[المتن]

والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

(١) البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي: ((لتبعن سنن من كان قبلكم))، حديث رقم (٧٣٢٠).

مسلم: كتاب العلم، باب سنن اليهود والنصارى، حديث رقم (٢٦٦٩).

ولفظ (حذو القذة بالقذة) ليس من لفظ الصحيحين، وهو في غيرهما، أنظر الصحيحة برقم (٣٣١٢).

[الشرح]

يعني أن العرب في الجاهلية ومن على شاكلتهم إذا ركبوا في البحر - في الفلك، في السفينة - وجاءت العواصف وعلموا أن أهتهم لا قدرة لها على تسخير الموج ولا إخراج الفلك من موقعه التجأوا إلى القادر على كل شيء؛ الذي يسكن الريح، ويُنجي من شاء أن يُنجيه، فعندما تأتي هذه الكروب يفرعون إلى الله، فإذا نجاهم من كربهم عادوا، طبيعة ابن آدم، والله يقول عن من يطلبون العودة: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]، أي لو ردوا من قبورهم وموتهم إلى الدنيا؛ هؤلاء الذين يطلبون الرجعة ليعملوا صالحا لو رُدُّوا لعادوا لما نُهوا عنه؛ أي أن طبيعة ابن آدم الظلم كما قال جل وعلا: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٧٢) [الأحزاب: ٧٢].

[المتن]

تمت، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

[الشرح]

نسأل الله جل وعلا أن ينفعنا بما سمعنا، وأن يصلح أحوالنا، وأن يهيئ لنا جميعا من أمرنا رشدا، وأن يمنحنا الرغبة في الوصول إلى مرضاته، والتوفيق بالإحسان إلى أنفسنا وإلى إخواننا المسلمين، وأن يوفقنا للدعاء لأنفسنا وأمتنا وإخواننا بأن يهدي الله جل وعلا ضالنا، ويعلم جاهلنا، وينصر مظلومنا، ويقهر عدونا، ويحفظ لبلادنا أمنها، وينشر الأمن على بقية بلاد الإسلام في ظل تحكيم شريعة الله وعبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والاستعداد لملاقاة الأيام المقبلة وما فيها فهو القادر على كل شيء.



فهرس الأحاديث

ن	أ
نحن أمة أمية، لا نقرأ ولا نكتب الشهر..... ١٦	أفلق وأبيه..... ١٦
نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس..... ٤	ألا تجيبون له؟..... ١٤
هـ	ع
هل تذرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟..... ١٥	عبدى أذنب ذنبا وعلم أن له ربا..... ٤
ي	ك
يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط..... ١٩	كانت الأنبياء في بني إسرائيل كلما هلك..... ١٣
يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع..... ١٠	
يقول الله تعالى 'أنا أغنى الشركاء عن الشرك..... ٥	ل
	لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة... ٢٠



الفهرس

٢	المقدمة
٢	عنوان السعادة
٥	تعريف الحنيفية
٦	العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد
٧	أهمية التوحيد
٨	القاعدة الأولى: أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرُونَ بأن الله تعالى هو الخالق المدبر
٩	القاعدة الثانية: أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة
١١	الشفاعة المنفية
١١	الشفاعة المثبة
١٢	القاعدة الثالثة: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم
٢٠	القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين
٢٢	فهرس الأحاديث
٢٣	الفهرس

